IUG Journal of Islamic Studies E-ISSN: 2410-5201 IUGJEPS
Peer-reviewed Journal of Islamic University-Gaza P-ISSN: 2410-8715 Vol 30, No 4, 2022, pp 578 -592

Received on (13-02-2022) Accepted on (09-04-2022)

https://doi.org/10.33976/IUGJIS.30.4/2022/23

Words that Surat Maryam is characterized Semantic and Objective Study

Dr. Mukhaled I. Abu Hilala[*1]
Ministry of Education – researcher[*1]

[*]Corresponding Author: Osamahelaleh@yahoo.com

Abstract:
This study aims to study the words that Surat Maryam is characterized by and their linguistic and contextual semantics and the relationship of these words to the characteristics of this Surat and its topics through inductive-analytical approach.

The researcher concluded, that there are nine words this Surat is characterized by. These words are organized in their Qur'anic context in this Surat, consistent with their significance in its context and topic of the Surat, as no word can replace it to perform its intended semantic in its Qur'anic system, in addition to consistency of these words in their phonetic units with context of the verse in which they are mentioned in it.

Keywords: Surat Maryam exclusivity words**.**

الألفاظ التي انفردت بها سورة مريم

دراسة دلالية موضوعية

د . مخلد إسماعيل أبو هلالة [1]
وزارة التربية والتعليم-باحث [1]

الملخص:

هذه الدراسة تهدف لدراسة الألفاظ التي انفردت بها سورة مريم ودلالاتها اللغوية و السياقيّة ، وعلاقة هذه الألفاظ بشخصية السورة و موضوعاتها من خلال المنهج الاستقرائي التحليليّ، وخلُص الباحث أنَّ هناك تسعة ألفاظٍ انفردت بها هذه السورة (اشتعل ، المخاض ، حتمًا، ضدّاً، تؤزّ، أزّاً، وفدًا، إدًّا، هدًّا ، ركزًا) وانتظمت هذه الألفاظ في سياقها القرآنيّ في هذه السورة متناسقةً مع دلالتها في سياقها وموضوع السورة ، حيث لا يمكن لأيِّة لفظة أن تحلّ محلها لتؤدي دلالتها المرادة في نظمها القرآنيّ ، إضافةً إلى تناسق هذه الألفاظ في وحداتها الصوتية مع سياق الآية التي وردت فيها وموضوعها.

كلمات مفتاحية: الألفاظ ، سورة مريم ، انفردت.

المقدمة :

الحمد لله ربّ العلمين، الذي أنزلَ هذا القرآن بلسانٍ عربيٍّ مُبين هدى للناس أجمعين ، و الصلاة والسلام على سيّد المرسلين محمد بن عبدالله و آله وصحبه أجمين أما بعد:

أنزل الله القرآن بلغة العرب (إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (٢يوسف)، فجاء القرآن باللغة العربية بألفاظه الفصيحة التي تعرفها و تفهمها العرب ، ولكن تميّز القرآن الكريم في أسلوب اختيار الألفاظ و توظيفها في سياقها القرآنيّ ، حيث تنتظم فيه كانتظام الخرز بالعقد فتكون في أحسن صورة لها ؛لتدلّ دلالة على مراد الله في نظمها القرآنيّ ؛ لذلك وقد أنصف الوليد بن المغيرة القرآن عندما سمعه من النبيّ – عليه لصلاة و السلام – : " إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ حَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً وَإِنَّهُ لَمُثْمِرٌ أَعْلَاهُ، مُغْدِقٌ أَسْفَلُهُ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يُعْلَا، وَأَنَّهُ لَيَحْطِمُ مَا تَحْتَهُ"([1]) فكلّ كلمة تقع في مكانها التي لا يمكن لكلمة أخرى أن تحلّ محلها لتؤدي نفس دلالتها اللغوية و البلاغية .

وهذه الدراسة (الألفاظ التي انفردت بها سورة مريم) جاءت لتكشف جانبًا من جوانب الإعجاز البيانيّ في اختيار الألفاظ و نظمِها أبدعَ نظمٍ لتدلّ دلالةً واضحةً على المعاني التي أرادها الله و لتكون أكثر إيقاعًا و تأثيرًا في قلوب الناس ، و مشكلة الدراسة أن تجيب عن السؤال الرئيس التالي : ما الألفاظ التي انفردت بها سورة مريم ودلالاتها ؟و يتفرع عنه الأسئلة الفرعية التالية :

1- ما الموضوعات التي تناولتها سورة مريم ؟

2- ما هي مقاصد سورة مريم؟

3- ما الأشياء التي تميزت بها سورة مريم من حيث الأسلوب والموضوع ؟

4- ما الألفاظ التي انفردت بها سورة مريم، وما علاقتها بموضوع السورة ؟

أهداف الدراسة :

1- إبراز الوحدة الموضوعية للسورة، وخصائصها الأسلوبية واللغوية.

2- تحديد الألفاظ التي انفردت بها السورة .

3- إبراز العلاقة الدلالية و البلاغية بين موضوع السورة و الألفاظ التي انفردت بها السورة.

الدراسات السابقة : هناك دراسات كثيرة تناولت دلالة ألفاظ القرآن ، و هناك دراسات مشابه لهذه الدراسة :1- الألفاظ التي انفردت بها سورة الأحزاب–د. جهاد نصيرات– الجامعة الأردنية (2015)

2- الألفاظ التي انفردت بها سورة الرحمن : دراسة دلالية موضوعية– عبدالله عبد المولى الزيوت– الجامعة الأردنية – .

3- الألفاظ التي انفردت بها سورة سبأ : دراسة دلالية موضوعية ،عليان، مصطفى حمدو (2017)

و بحثي هذا تناول الألفاظ التي انفردت بها سورة مريم ، و حسب اطلعي لم أجد دراسة بحثت في الألفاظ التي انفردت بها هذه السورة .

منهج الدراسة :

اتبع الباحث في هذا البحث المنهجَ الاستقرائيَّ حيث استقرأ الألفاظ التي انفردت بها سورة مريم ثم المنهجَ التحليليَّ حيث درس هذه الألفاظ في المستويين اللغوي (المعجمي) و الدلالي وبيان علاقة هذه الألفاظ بسياق السورة و موضوعها .

حدود الدراسة: الألفاظ التي لم تأت أصلاً (جذراً لغوياً) إلّا في سورة مريم ، كـ (إدّ) فالهمزة و الدال المُضعفة لم تأت إلّا في سورة مريم.

[1] - البيهقي \ دلائل النبوة \ ج2/ ص198

و قسم الباحث هذه الدراسة إلى :

المقدمة : أهمية الدراسة، وأهدافها، والدراسات السابقة، وخطة الدراسة، ومنهجها وحدودها.

التمهيد: أهمية المفردة القرآنية .

المبحث الأول : التعريف بسورة مريم، وبيان موضوعاتها ومقصدها، وخصائصها الأسلوبية .

المطلب الأول : التعريف بسورة مريم .

المطلب الثاني : موضوعات سورة مريم ومقصدها .

المطلب الثالث :الخصائص الأسلوبية للسورة .

المبحث الثاني :الألفاظ لتي انفردت بها سورة مريم .

المطلب الأول : معاني الألفاظ التي انفردت بها سورة مريم .

المطلب الثاني : دلالات الألفاظ التي انفردت بها سورة مريم و علاقتها بموضوع السورة .

- **التمهيد : أهمية المفردة القرآنية .**

المفردة القرآنية تنسجم في سياقها و نظمها القرآنيّ كحبات اللؤلؤ التي تنتظم في عقدها فتبدو جميلة ، فالمفردة القرآنية تأتي في نظمها لتؤدي دلالتها التي لا يمكن لمفردة أخرى أن تحلّ محلها، يقول الباقلانيّ :" الكلام يتبين فضله ورجحان فصاحته، بأن تذكر منه الكلمة في تضاعيف كلام، أو تقذف ما بين شعر، فتأخذها الاسماع وتتشوف إليها النفوس، ويرى وجه رونقها بادياً، غامراً سائر ما تقرن به، كالدرة التي ترى في سلك من خرز، وكالياقوتة في واسطة العقد. وأنت ترى الكلمة من القرآن يتمثل بها في تضاعيف كلام كثير، وهي غرة جميعه، وواسطة عقده، والمنادى على نفسه بتميزه، وتخصصه برونقه وجماله، واعتراضه في حسنه ومائه"([2]) فلذلك نجد في القرآن الكريم كلماتٍ تتقارب في معانيها كالمطر و الغيث ، الجوع و السغب، فالناظر قد لا يجد فرقاً بينهما ، لكنَّ القرآن الكريم يضع كلّ مفردة في مكانها الذي لا يمكن أن تحلّ الأخرى، يقول الجاحظ:" وقد يستخف الناس ألفاظاً ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها. ألا ترى أن الله –تبارك وتعالى– لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر، والناس لا يذكرون السغب ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة. وكذلك ذكر المطر، لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلّا في موضع الانتقام. "([3]) ونجد الرمانيّ يبرز قيمة و جمالية الكلمة القرآنية فعند قوله – تعالى –: (وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَل فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآء مَّنثُورًا (٢٣ الفرقان) يقول الرمانيّ :"حقيقة (قدمنا)هنا(عمدنا) وقدمنا أبلغ منه؛ لأنّه يدل على أنّه عاملهم معاملة القادم من السفر ؛ لأنّه عاملهم من أجل إمهاله لهم كمعاملة الغائب عنهم ، ثم قدم فرآهم على خلاف ما أمرهم. وفي هذا تحذير من الاغترار بالإمهال ، وبالمعنى الذي يجمعهما العدل ؛ لأن العمد إلى إبطال الفاسد عدل ، والقدوم أبلغ لما بينا. "([4])

وتتناسق الوحدات الصوتية في الكلمة القرآنية مع دلالتها حيث إنَّ صفات حروفها و مخارجها لها علاقة في بناء الكلمة و دلالتها، "فحركات الحروف إضافة إلى صفاتها، ومخارجها، كلها روابط وعلاقات ملحوظة في بناء الكلمة، ثم بناء الصورة، فنحن لا نجد في العربية كلمة متطابقة في مخارجها، وصفاتها، وحركاتها، وهذا التنويع في بناء الحروف، يحقّق وحدة صوتية متناغمة ومنسجمة للكلمة، ويكسبها قيمة جمالية، فالانسجام أو التناسق بين الحروف في الكلمة القرآنية يرجع إلى مخارجها، وصفاتها، وحركاتها المتنوّعة، ومن مجموع هذه العلاقات الصوتية، تتكوّن النغمة الموسيقية للكلمة أو الإيقاع الموسيقى لها، وهذا الإيقاع الموسيقى للكلمة، مرتبط بالمعنى" ([5]) ، ومن الأمثلة على علاقة الوحدات الصوتية و بنائها بدلالة الكلمة في سياقها كقوله – تعالى

[2] - الباقلاني \ إعجاز القرآن 71
[3] الجاحظ \ البيان والتبيين1/ 41
[4] الرمانيّ \ النكت في إعجاز القرآن 86
[5] عبد السلام الراغب \ وظيفة الصورة الفنية في القرآن 384

– :(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ما لَكُمْ إِذا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَياةِ الدُّنْيا مِنَ الْآخِرَةِ فَما مَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا فِي الْآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ (38التوبة)، فكلمة (اثَّاقَلْتُمْ) أَصْلُهُ تَثَاقَلْتُمْ قُلِبَتِ التَّاءُ الْمُثَنَّاةُ ثَاءً مُثَلَّثَةً لِتَقَارُبِ مَخْرَجَيْهِمَا طَلَبًا لِلْإِدْغَامِ، وَاجْتُلِبَتْ هَمْزَةُ الْوَصْلِ لِإِمْكَانِ تَسْكِينِ الْحَرْفِ الْأَوَّلِ مِنَ الْكَلِمَةِ عِنْدَ إِدْغَامِهِ.(وَالتَّثَاقُلُ) تَكَلُّفُ الثِّقَلِ، أَيْ: إِظْهَارُ أَنَّهُ ثَقِيلٌ لَا يَسْتَطِيعُ النُّهُوضَ" ([6]) فكلمة (اثَّاقَلْتُمْ) و ما جرى فيها من إدغام جعلها تتناسب مع حال هؤلاء الذين رضوا بالحياة الدنيا و تركوا الجهاد .

المبحث الأول : التعريف بسورة مريم ، وبيان موضوعاتها ومقصدها و خصائصها الأسلوبية:

- **المطلب الأول : التعريف بسورة مريم :**

أولاً: تعريف بسورة مريم:

ترتيبها التاسعة عشرة في المصحف، وعدد آياتها ثمان وتسعون على العدّ الكوفيّ، تقع بين سورتي الكهف و طه، و هي سورة مكية إلا أنَّ بعض المفسرين ذهبوا إلى أنَّ آية السجدة فيها مدنيةٌ (أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا) (٥٨مريم) ([7])

و مناسبة سورة مريم لما قبلها سورة الكهف يقول ابن الزبير :"لما قال تعالى: (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الكهف وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (9 الكهف) ، ثم أورد خبرهم وخبر الرجلين موسى والخضر (عليهما السلام) ، وقصة ذي القرنين، أتبع سبحانه ذلك بقصص تضمنت من العجائب ما هو أشد عجبًا وأخفى سببًا ، فافتتح سورة مريم بيحيى بن زكريا وبشارة زكريا به بعد الشيخوخة وقطع الرجاء وعقر الزوج حتى سأل زكريا مستفهما ومتعجبا (أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (8 مريم)فأجابه الله –تعالى– بأنّ ذلك عليه هيّن ، وأنه يجعل ذلك آية للناس، وأمرُ هذا أعجبُ من القصص المتقدمة فكأن قد قيل: أم حسبت يا محمد أنّ أصحاب الكهف والرقيمِ كانوا من آياتنا عجبًا ،نحن نخبرك بخبرهم ونخبرك بما هو أعجب وأغرب وأوضح آية ،وهو قصة زكريا في ابنه يحيى –عليهما السلام–، وقصة عيسى –عليه السلام– في كينونته بغير أب؛ ليعلم أن الأسباب في الحقيقة لا يتوقف عليها شيء من مسبباتها إلا بحسب سنة الله ." ([8])

ثانياً: موضوعات سورة مريم :

بدأت هذه السورة بذكر ثلاث قصص لكلٍ منها مقصدٌ تهدف إليه السورة الكريمة :**الأولى** : قصّة زكريّا وابنه يحيى – عليهما السلام – هي القصة الأولى في هذه السورة ،وهو دعاء زكريا – عليه السلام – ربّه أن يهب له الولد ؛ ليرث علْمه ودعوته ، فجاءت البشارة من الله بالغلام الذى سمّاه يحيى ، فاستغرب زكريا – هذا الأمر بأن تحمل زوجته وهي عاقر، و قد بلغ هو من العمر عتيًا ، فقال الله له ردًا على استغرابه :(قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (٨) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا (٩مريم) .

الثانية : قصّة مريم وابنها عيسى هي من المعجزات التي تدلّ على قدرة الخالق حيث حملت مريم – عليها السلام– بأمر الله من غير أن يمسّها بشر ، و قد تعجبت مريم – عليها السلام– من هذا الأمر فقال الله – تعالى – ردًا على تعجبها (قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠) قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا (٢١مريم) .

الثالثة : قصة إبراهيم– عليه السلام – مع أبيه الذي كان يعبد الاصنام و حذر إبراهيم – عليه السلام – أباه من عبادة الأصنام، لكنّ أباه استمر في كفره ، وردّ على إبراهيم ردّا قاسيًا ،ثم تعقبَ هذه القصص الثلاث (زكريا، مريم، إبراهيم) إشاراتٌ

[6] ابن عاشور \التحرير والتنوير 10/ 197

[7] انظر: البيضاوي\ أنوار التنزيل وأسرار التأويل \ ج4/ص5، ابن عطية \ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج 4/ ص 3

[8] ابن الزبير الغرناطي \ البرهان في تناسب سور القرآن ص251

لبعض الأنبياء : إسحاق ويعقوب ، وموسى وهارون ، وإسماعيل ، وإدريس ، وآدم ونوح إشارةً إلى إيمانهم و دعوتهم إلى التوحيد الخالص لله، ثم تعرِضُ السورة الكريمة لوصف الجنة وأهلها ، وحكاية إنكار المشركين البعث ،وإنذارهم بأن الأصنام التي اعتزوا بها سيندمون على اتخاذها آلهة من دون الله ، وتحكى ضرباً من كلام الكفار بنسبة الولد إلى الله –عز وجل – وتختم السورة بأنّ القرآنَ بشيرٌ للمتقين ونذيرٌللناس .

المطلب الثاني : موضوعات سورة مريم ، ومقصدها:

لكلِّ سورةٍ مقصدُها الذي أراده الله، ولهذه السورة الكريمة أربعةُ مقاصد أساسية تدور عليها: **الأول** : رحمة الله و نِعَمِه على خلْقه و قدرته على إعطاء كلّ شيءٍ لمن يريد من عباده ويتمثل في قصة زكريا و قصة مريم – عليهما السلام– **الثاني** : تنزيهه عن الولد : و هذا في قصة مريم – عليها السلام – التي تحدثت الآيات الكريمات عن حمّلِها بعيسى – عليه السلام– دون أن يمسّها بشرٌ ، وأنّ عيسى – عليه السلام– هو بشر ، و هو عبد الله و رسوله كما أخبر في الآيات الكريمات في هذه السورة (قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30مريم) لا كقولِ النصارى أنّ عيسى هو ابن الله أو هو إله (وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ) 31 التوبة (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ (72 المائدة) **الثالث** : توحيد الله و عبادته: و يتمثل هذا في دعوة إبراهيم لأبيه بترك عبادة الأصنام و عبادة الله وحده. **الرابع** : إثبات البعث . يقول البقاعي عن مقصد سورة مريم: "مقصودها بيان اتصافه –سبحانه – بشمول الرحمة بإفاضة النعم على جميع خلقه، المستلزم للدلالة على اتصافه لجميع صفات الكمال، المستلزم لشمول القدرة على إبداع المستغرَب، المستلزم لتمام القدرة الموجب للقدرة على البعث والتنزه عن الولد ؛لأنّه لا يكون إلا لمحتاج، ولا يكون إلّا مثل الوالد، ولا سَمِي له –سبحانه– فضلاً عن مثيل، وعلى هذا دلت تسميتها بمريم؛ لأن قصتها أدلُّ ما فيها على تمام القدرة وشمول العلم؛ لأن أغرب ما في المخلوقات وأجمعه خلقًا الآدمي، وأعجب أقسام توليده الأربعة – بعد كونه آدميًا – ما كان من أنثى بلا توسطِ ذكرٍ؛ لأن أضعف الأقسام، وأغرب ذلك أن يتولد منها على ضعفها أقوى النوع وهو الذكر، ولا سيّما إن أوتي قوة الكلام والعلم والكتاب في حال الطفولية، وأن يخبر بسلامته الكاملة فيكون الأمر كذلك، لم يقدر أحد – مع كثرة الأعداء – على أن يمسه بشيء من أذى". ([9])

المطلب الثالث :الخصائص الأسلوبية للسورة :

للقرآن الكريم أساليبه اللغوية و البلاغية التي يعرض بها القصص القرآنيّ أو التشريعات ، وتختلف الأسلوب القرآنيّ من سورة إلى سورة ، فكلّ سورة لها خصائصها الأسلوبية التي تتميز بها عن غيرها ،و نعرض في هذا المطلب أهم الخصائص الأسلوبية التي تميزت بها سورة مريم وهي كما يأتي :1– ذُكِر اسم (الرحمن) فيها خمس عشرة مرة ، وهي أكثر السور في ذكر اسم (الرحمن) فيها ، فرحمة الله كبيرة وسعت النبيّ زكريا عندما طلب من الله أن يهبه الولد، ووسعت مريم عندما اختارها لِتحملَ بالنبيّ عيسى– عليه السلام – وعند ولادتها أجرى تحتها نهرًا و أسقط عليها الرطب ،و أنعم على إبراهيم– عليه السلام– حين وهبه إسحاق و يعقوب، و أنعم على المؤمنين بالجنة ، و أنعم على الكافرين عندما فتح لهم باب التوبة .

2– تنوعت الفاصلة القرآنية في سورة مريم تبعًا لموضوع الآية أو الآيات الكريمات ففي قصة زكريا و مريم و إبراهيم – عليهم السلام –جاءت الفاصلة القرآنية ياء مشددة (زَكَرِيَّآ شَقِيّاً خفياً ولياً رضياً سمياً عِتِيّاً سوياً عشياً نبياً علياً صَبِيّاً تَقِيّاً حَيّاً شَرْقِيًّا تَقِيّا زَكِيّاً بَغِيّاً مَّقْضِيّاً قَصِيّاً مَّنسِيّاً سَرِيّاً. جَنِيّاً إِنسِيّاً فَرِيّاً حَيّاً) و **الدال:** (عبدًا جُندًا وَوَلَدًا عَهْدًا فَرْدًا) ،و نجد حرف الدال المضعف الذي يناسب التهديد والوعيد والعقاب..(مدًّا مردًّا إدًّا هدًّا ودًّا لدّاً ضدًّا..) و جاءت الفاصلة في الآية (81) (وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَة لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا) حرف الزاي ، وحرف الزاي من صفاته الرخاوة ، فالشياطين تمنيهم أن تكون هذه الآلهة عزّاً لهم ، أي: يكونوا في سعة و عيش رغيد ، و هذا يتناسب مع الفاصلة في هذه الآية (الزاي) التي من صفاتها الرخاوة متناسبة مع الرخاء الذي كانوا يتمنونه ، والفاصلة القرآنية في هذه الآيات (34– 40) النون و الميم (يَمْتَرُونَ ، فَيَكُونُ، مُّسْتَقِيم، عَظِيمٍ، مُّبِين، يُؤْمِنُونَ ، يُرْجَعُونَ)و هما

[9] البقاعي \ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور 12/ 156

حرفان مخرجهما الشفتان ، وجاءت هذا الفواصل بعد قصة مريم عندما بدأ الحديث عن كفر أهل الكتاب بعيسى – عليه السلام – و قولهم بأفواههم أنّه ابن الله و اختلافهم فيه ، أما السورة فانفردت عن غير من السور القرآن بالفاصلة القرآنية الياء المشددة (زَكَرِيَّآ شَقِيًّا خفياً ولياً رضياً سميًا عِتِيًّا.....) ، و بالدال المضعفَة (مدّاً مردّاً إدّاً هدّاً ودّاً لدّاً ضدّاً).

3–كان أسلوب النداء متنوعًا بين نداء العبد لربّه كما في قصة زكريا – عليه – السلام – ففي قصة زكريا – عليه السلام– التي بدأت بها السورة الكريمة يظهر جليًا في خطاب زكريا ربّه حيث تكررت صيغة النداء (ربِّ) خمس مرات (قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ)، (وَلَمۡ أَكُن بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّا) ، (وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّا) ، (قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ) ، (قال رب اجعل لي آية) ويدلُّ هذا على أدب الحوار بين زكريا و ربّه، حيث أظهر زكريا التذلل لربّه الذي خلقه و أنعم عليه ، وحُذِفت أداة النداء فيهنّ دلالة على قرب الله منه ، و نداء اللهُ لعبدِهِ زكريا (يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا) مبشرًا له بالولد، و نداء اللهُ ليحيى (يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّا (12) آمرًا له بالسير على نهج أبيه، و نداء الابن لأبيه كما في قصة إبراهيم فكان الخطاب بين الابن و الأب حيث وردت صيغة النداء (يا أبت)أربع مرات (إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ) ، (أَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ)، (يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ) (يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ) دالةً على أدب الخطاب بين الابن و أبيه مرشدة إلى أدب طاعة الوالدين التي أمر بها الإسلام بخلاف خطاب أبي إبراهيم لابنه فقد قال (قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (46مريم) فلم يناده بصيغة (يا بنيّ) ، كما خاطب إبراهيم ابنه (فلما بلغ معه السعي قال يا بنيّ إنّي أرى في المنام أنّي أذبحك(102 الصافات) و كما خاطب نوح ابنه فقال:(وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا (هود 42).

4– جاء في هذه السورة أسلوب الاستفهام متنوعًا بغرضه البلاغيّ ، ففي سورة مريم ورد خمس صيغ للاستفهام ، كلّ صيغة جاءت لغرض بلاغيّ هو أسلوب أكثر إيقاعًا و تأثيرًا في نفوس المخاطبين كقوله – تعالى :(وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا (66مريم) وهذا الاستفهام إنكاريّ حيث ينكر الكافرون البعث ، فإخراجُ الكلام مخرجَ الاستفهام أدلُّ على المعنى ، ثم ردّ الله على كقولهم باستفهام تعجبيّ مما قالوه قال – تعالى: (أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا (٦٧مريم) فهو يوجه الإنسان أنّ الله خلقه و لم يكن شيئًا ، فهو أقدر على بعثه وإعادته (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ (27الروم) أمّا الاستفهام في قوله – تعالى –:(أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالٗا وَوَلَدٗا (٧٧مريم)" فالهمزةُ للتعجيب من حاله والإيذانِ بأنّها من الغرابة والشناعةِ بحيث يجب أن تُرى ويُقضَى منها العجب..... والفاءُ للعطف على مُقدَّر يقتضيه المقام أي: أنظرْتَ فرأيتَ الذي كفر بآياتنا الباهرةِ التي حقُّها أن يؤمِنَ بها كلُّ من يشاهدها (وقال) مستهزئًا بها مصدر لكلامه باليمين الفاجرةِ والله (لأُوتَيَنَّ) في الآخرة (مَالاً وَوَلَدًا) أي: انظر إليه فتعجب من حالته البديعة وجراءته الشنيعة هَذَا هُو الذي يستدعيه جزالةُ النظمِ الكريمِ وقد قيل: إن (أرأيت) بمعنى أخبِرْ ، والفاءُ على أصلها والمعنى أخبِرْ بقصة هذا الكافرِ عقيبَ حديثِ أولئك الذين قالوا: (أيُّ الفريقين خَيْرٌ مَّقَاماً) ، وأنت خبيرٌ بأنّ المشهورَ استعمال(أرأيت) في معنى أخبرني بطريق الاستفهامِ جارياً على أصله أو مُخْرَجاً إلى ما يناسبه من المعاني لا بطريق الأمر بالإخبار لغيره"([10]) ثمّ جاء الاستفهام ردّاً على هذا الذي كفر بآيات الله و أنكر نعمه (أَطَّلَعَ ٱلۡغَيۡبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا(٧٨ مريم)" (أَطَّلَعَ الغيب) ردٌّ لكلمته الشنعاء وإظهارٌ لبطلانها إثرَ ما أشير إليه بالتعجيب منها أي: أَقدْ بلغ من عظمة الشأنِ إلى أن ارتقى إلى علم الغيب الذي استأثر به العليمُ الخبير حتى ادعى أن يؤتى في الآخرة مالاً وولداً، وأقسم عليه (أَمِ اتخذ عِندَ الرحمن عَهْداً) بذلك فإنه لا يُتوصَّل إلى العلم به إلا بأحد هذين الطريقين ، والتعرضُ لعنوان الرحمانية للإشعار بعلية لإيتاء ما يدّعيه " ([11]) أما الاستفهام في قوله – تعالى –: (أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا (٨٣مريم) ." والمراد تعجيب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بعد الآيات التي ذكر فيها العتاة والمردة من الكفار، وأقاويلهم، وملاحتهم، ومعاندتهم للرسل، واستهزاؤهم

[10] أبو السعود\ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم 5/ 279

[11] أبو السعود\ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم 5/ 279

بالدين مِن تماديهم في الغيّ وإفراطهم في العناد، وتصميمهم على الكفر، واجتماعهم على دفع الحق بعد وضوحه وانتفاء الشكّ عنه، وانهماكم لذلك في اتباع الشياطين وما تسوّل لهم"([12])

المبحث الثاني : الألفاظ التي انفردت بها سورة مريم:

في هذا المبحث تناول الباحث الألفاظ التي انفردت بها سورة مريم مبيّنًا معانيها في اللغة و دلالتها في سياقها القرآنيّ.

المطلب الأول : معاني الألفاظ التي انفردت بها سورة مريم .

نزل القرآن الكريم بلغة العرب التي كانوا يتفاخرون بها؛ لذلك من أدوات فهم النص القرآني الرجوع إلى لغة العرب لمعرفة معاني الكلمات و دلالاتها ،وهذا المطلب يتتبع معاني الألفاظ التي انفردت بها سورة مريم في مستواها المعجميّ لمعرفة معانيها في لغة العرب ثم قراءة دلالاتها في سياقها القرآني ، وقد رجع الباحث إلى المعاجم العربية و دوّن في هذا ما يحتاج إليه البحث :

أولاً :- اشتعل : "(شَعِلَ) الشِّينُ وَالْعَيْنُ وَاللَّامُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى انْتِشَارٍ وَتَفَرُّقٍ فِي الشَّيْءِ الْوَاحِدِ مِنْ جَوَانِبِهِ"([13]). فأصل الكلمة (الشين و العين واللام) يدلّ على الانتشار "وشَعَلَ النَّارَ فِي الحَطَبِ، يَشْعَلُهَا، شَعْلاً: أَي أَلْهَبَها، كشَعَّلَها، تَشْعِيلاً، وأَشْعَلَها، فاشْتَعَلَتْ، وتَشَعَّلَتْ، الْتَهَبَتْ، واضْطَرَمَتْ»([14]) و استُعمل في اشتعال النار ؛لأن النار تنتشر بسرعة عند اشتعالها .

ثانياً : المخاض :مِن (مخض): المَخِيضُ: ما قد أخذ زبده، والمخض: تحريكك المِخْضَ، وهو الذي فيه اللبن،...والسحاب يَتَمَخَّضُ بمائه، والدهر يتمخَض بفتنهِ، والتَّمُّخضُ: التحرك ([15]) من خلال ما أورده الخليل بن أحمد من معانٍ نجد أن (ميم، الخاء، الضاد) يدور على معنى التحريك سواء كان سحاباً أو لبناً أو دهراً ،وكذلك تبعه الجوهريّ في الصحاح فما ذكره ، ثم ذكر أن الولد عندما يبدأ يتحرك في بطن أمّه يكون مخاضًا " والمَخيضُ والمَمْخوضُ: اللبن الذي قد مُخِضَ وأخِذَ زُبْدُهُ. وأمْخَضَ اللبنُ، أي حان له أن يُمْخَضَ. وتَمَخَّضَ اللبنُ وامْتَخَضَ، أي: تَحرَّك. وكذلك الولد إذا تحرك في بطن الحامل"([16])

ثانياً : حتماً: يقول ابن فارس :"حَتَمَ : (الْحَاءُ وَالتَّاءُ وَالْمِيمُ)، لَيْسَ عِنْدِي أَصْلًا، وَأَكْثَرُ ظَنِّي أَنَّهُ أَيْضًا مِنْ بَابِ إِبْدَالِ التَّاءِ مِنَ الْكَافِ، إِلَّا أَنَّ الَّذِي فِيهِ مِنْ إِحْكَامِ الشَّيْءِ، يُقَالُ: حَتَّمَ عَلَيْهِ، وَأَصْلُهُ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ حَكَمَ،...وَالْحَاتِمُ: الَّذِي يَقْضِي الشَّيْءَ. فَأَمَّا تَسْمِيَتُهُمُ الْغُرَابَ حَاتِمًا فَمِنْ هَذَا؛ لِأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ يَحْتِمُ بِالْفِرَاقِ"([17])، فابن فارس جعل التاء مبدلة من التاء ، أي : أن أصله (حكم) نقول : أحكم السقاء ، أي : أغلقه بإحكام لا يخرج منه الماء ، أما الخليل بن أحمد في العين و الجوهري في الصحاح فجعلاها أصلاً ، و من المعنى الحسيّ استُعمل في الأمر الواجب الذي لا بدّ من وقوعه، يقول ابن منظور :"الحَتْمُ:؛ اللَّازِمُ الْوَاجِبُ الَّذِي لَا بُدَّ مِنْ فِعْلِهِ. وحَتَمَ اللهُ الأَمرَ يَحْتِمُه: قَضَاهُ. والحاتِمُ: الْقَاضِي([18])

ثالثاً : ضَدَّاً : "الضَّادُ وَالدَّالُ : كَلِمَتَانِ مُتَبَايِنَتَانِ فِي الْقِيَاسِ. فَالْأُولَى: الضِّدُّ ضِدُّ الشَّيْءِ. وَالْمُتَضَادَّانِ: الشَّيْئَانِ لَا يَجُوزُ اجْتِمَاعُهُمَا فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، كَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَالْكَلِمَةُ الْأُخْرَى الضَّدُّ، وَهُوَ الْمَلْءُ، بِفَتْحِ الضَّادِ، يُقَالُ: ضَدَّ الْقِرْبَةَ، مَلَأَهَا"([19])جعل ابن فارس (ضَدَّ)بالفتح و(ضِدَّ)بالكسر كلمتين تحمل كلاً منها معنى كما ذكر ، و أقول إنّ الأصل في (الضَّادُ وَالدَّالُ المُضعَفة)أصل واحد دالٌّ على ضدّ الشيء كالليل و النهار ، والموت الحياة ، أما ما ذكره ابن فارس عن الضَدّ بالفتح بمعنى الْمَلْءُ،فهو يرجع لهذا الأصل؛لأنّ ضدّ الْمَلْءِ الفارغ .

---

[12] الزمخشري \ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل 3/ 42

[13] ابن فارس \ مقاييس اللغة 3/ 189

[14]الزبيدي \ تاج العروس 29/ 261

[15] الخليل بن أحمد \ العين 4/ 180

[16] الجواهري \ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية 3/ 1105

[17] ابن فارس \ مقاييس اللغة 2/ 134

[18] ابن منظور \ لسان العرب 12/ 113

[19] ابن فارس \ مقاييس اللغة 3/ 360

رابعاً : أَزَّا :" الأزّ: ضَرَبانُ عِرقٍ يأتز، أو وجعٌ في خُراج. وفلان يأتزّ، أي: يجد أزّاً من الوجع. والأَزَزُ: امتلاء البيت من النّاس، يقال: البيتُ منهم أَزِزٌ إذا لم يكن فيه مُتَّسَعٌ، لا يشتق منه فِعْل، ولا يُجمع. والأزّ: أن تؤزّ إنسانًا، أي: أن تحمله على أمرٍ برفقٍ واحتيال حتّى يفعله كأنه يزين له، أززته فائتزّ. وقوله –جلّ وعزّ– : (أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّياطِينَ عَلَى الْكافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا) أي: تُزْعجهم إلى المَعْصِية، و تغريهم بها "[20]الأصل في استعمال الأزّ التحريك و الهيجان في الأمر الحسيّ، وكلّ ما ذكره الخليل يرجع لهذا الأصل : أَزَّتِ القِدْرُ أزيزاً، والأَزيزُ: صوتُ النَّشِيش ([21]) الأزّ: ضَرَبانُ عِرقٍ يأتز، أو وجعٌ في خُراج. وفلان يأتزّ، أي: يجد أزّاً من الوجع. والأَزَزُ: امتلاء البيت من النّاس ثم استُعمل في المعاني ؛لأنّ معناه التحريك و الإزعاج يقول ابن فارس :" أَزَّ :وَالْهَمْزَةُ وَالزَّاءُ يَدُلُّ عَلَى التَّحَرُّكِ وَالتَّحْرِيكِ وَالْإِزْعَاجِ. .([22]) قَالَ الْخَلِيلُ: "الأزّ: أن تؤزّ إنساناً، أي: أن تحمله على أمرٍ برفقٍ واحتيال حتّى يفعله كأنه يزين له. أززته فائتزّ" ([23])

خامساً : وفداً : "(الْوَاوُ وَالْفَاءُ وَالدَّالُ): أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى إِشْرَافٍ وَطُلُوعٍ، مِنْهُ الْوَافِدُ: الْقَوْمُ يَفِدُونَ. وَالْوَفْدُ: ذِرْوَةُ الْحَبْلِ مِنَ الرَّمْلِ الْمُشْرِفِ، وَالْوَافِدُ مِنَ الْإِبِلِ: مَا يَسْبِقُ سَائِرَهَا. وَالْإِيفَادُ: الْإِسْرَاعُ، وَالْوَافِدَانِ هُمَا عَظْمَانِ نَاشِزَانِ مِنَ الْخَدَّيْنِ عِنْدَ الْمَضْغِ. وَإِذَا هَرِمَ الْإِنْسَانُ غَارَ وَافِدُهُ. قَال الأعشى:

رَأَتْ رَجُلًا غَائِرَ الْوَافِدَيْ ... نِ مُخْتَلِفَ اللَّوْنِ أَعْشَى ضَرِيرًا

وَأَوْفَدَ عَلَى الشَّيْءِ وَأَوْفَى: أَشْرَفَ "([24])أصل (الواو ، الفاء ، والدال) يدلّ على الإشراف و الطلوع ،و الإسراع ، واستُعمل في وفود القوم ، وهذا يكون في مقام التكريم ، فالوفد دائماً يكون مُكرَّمًا.

6– إدّ : " الْهَمْزَةُ وَالدَّالُ فِي الْمُضَاعَفِ فَأَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا عِظَمُ الشَّيْءِ وَشِدَّتُهُ وَتَكَرُّرُهُ، وَالْآخَرُ النُّدُودُ" ([25]) ،فابن فارس يرى أنّ الْهَمْزَةِ وَالدَّال فِي الْمُضَاعَفِ أَصْلَانِ :الأول : عِظَمُ الشَّيْءِ وَشِدَّتُهُ والثاني : أنّ الهمزة أصلها نون من الفعل ندد ، والذي أراه أنّ الْهَمْزَةِ وَالدَّال المضعفَة أصلٌ واحد دلّ على الأمر العظيم الشديد ، ويستعمل الأدّ في صوت الأبل " وأَدّت النَّاقَةُ: والإبل تَؤُدُّ أَدّاً: رجَّعت الْحَنِينَ فِي أَجوافها، وأَدَّ النَّاقةِ: حَنِينُهَا وَمَدُّهَا لِصَوْتِهَا؛ عَنْ كُرَاعٍ ، وأَدّ البعيرُ يَؤُدُّ أَدّاً: هَدَرَ ، وأَدّ الشيءَ وَالْحَبْلَ يَؤُدُّهُ أَدّاً "([26]) فحنين الناقة و مدّها لصوتها يرجع إلى شدّة الحزن على فراق ولدها ، و أدّ الحبل مدّها حتى يصبح على طوله فيرى حبلاً طويلا ، و كله يرجع إلى عظمِ الشيء أو شدّته .

7– هَدّاً : "الْهَاءُ وَالدَّالُ المُضعفَة: أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى كَسْرٍ وَهَضْمٍ وَهَدْمٍ، وَهَدَدْتُهُ هَدًّا: هَدَمْتُهُ ،وَيَرْجِعُ الْبَابُ كُلُّهُ إِلَى هَذَا الْقِيَاسِ، فَالْهَدُّ مِنَ الرِّجَالِ: الضَّعِيفُ "([27])فالهدّ يدل على الكسْر والضعف ،و يستعمل الهدّ بالهدم الشديد ":الهَدُّ: الهَدْمُ الشَّدِيدُ وَالْكَسْرُ كحائِط يُهَدُّ بمرَّة فَيَنْهَدِم؛ هَدَّه يَهُدُّه هَدًّا وهُدُودا؛ قَالَ كُثَيِّرُ عَزَّةَ ([28]) :

فَلَوْ كَانَ مَا بِي بالجِبال لَهَدَّها، ... وإن كَانَ فِي الدُّنيا شَدِيداً هدُودُها ([29]) فالشاعر جعل ما فيه من العشق، الحزن والألم لفراق محبوبته يهدُّ الجبال ، كأنّ ما فيه يهدّها فتنهدم فتُسوَى بالأرض على عِظَمِ هذه الجبال و قوتها ،فالهدّ يكون في قوة ؛ لأنّه يكون في الأمور العِظام أو القوية الصلبة .

---

[20] الخليل بن أحمد \ العين 7/ 397
[21] الخليل بن أحمد \ العين 7/ 398
[22] ابن فارس ، مقاييس اللغة 1/ 14
[23] الخليل \ العين 7 \ 397
[24] ابن فارس \ مقاييس اللغة 6/ 129
[25] ابن فارس \ مقاييس اللغة 1/ 11
[26] ابن منظور \ لسان العرب 3/ 432
[27] ابن فارس \ مقايس اللغة 6/ 7
[28] - كثير عزّة شاعر في العصر الإسلامي(40 - 105)هـ يعبر الشاعر عن حبّه لمحبوبته في هذه القصيدة و مطلع القصيدة :
لَقَد هَجَرَت سُعدى وَطالَ صُدودُها .....وَعاوَدَ عَيني دَمعُها وَسُهودُها

[29] ابن منظور \ لسان العرب 3/ 432

8- رَكَزَ : "(الرَّاءُ وَالْكَافُ وَالزَّاءُ) أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا إِثْبَاتُ شَيْءٍ فِي شَيْءٍ يَذْهَبُ سُفْلًا، وَالْآخَرُ صَوْتٌ. فَالْأَوَّلُ: رَكَزْتُ الرُّمْحَ رَكْزًا، وَمَرْكَزُ الْجُنْدِ: الْمَوْضِعُ الَّذِي أُلْزِمُوهُ. وَيُقَالُ ارْتَكَزَ الرَّجُلُ عَلَى قَوْسِهِ، إِذَا وَضَعَ سِيَتَهَا بِالْأَرْضِ ثُمَّ اعْتَمَدَ عَلَيْهَا. وَمِنَ الْبَابِ: الرِّكَازُ، وَهُوَ الْمَالُ الْمَدْفُونُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ"([30])

يرى الباحث أنّهما أصلٌ واحد ،فالشيء إذا ارتكز في الأرض كالرمح أو غيره فهو ثابت لا يتحرك ، فلا يُصدر منه الصوتُ أو يُصدِر صوتاً خفياً لا يكاد يُسمَع إذا حركته الريح .

المطلب الثاني : دلالات الألفاظ التي انفردت بها سورة مريم و علاقتها بموضوع السورة .:

أولاً : قوله – تعالى – : (قالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُنْ بِدُعائِكَ رَبِّ شَقِيًّا) (4)مريم

اشتعل من الألفاظ التي انفردت بها سورة مريم ،وهو من الجذر الثلاثي (شعل) أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى انْتِشَار الشيء بسرعة كاشتعال النار أي : اضطرامها أو التهابها ، فيكون انتشار النار بسرعة ، لذلك جاءت هذه الكلمة (اشتعل) في سياق قصة زكريا – عليه السلام – الذي كبُر في العمر ، فدعا ربّه أن يهبه الولد فبدأ زكريا– بوصف ما آل إليه حاله من ضعف فقال (قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا) فبعد وصفِ ما أصاب عظامه من الوهن ،قال و اشتعل الرأس شَيْبًا ،وهو أبلغ في التعبير في وصفِ ضعفه وكبرِ سنه فالعمر تقدم به سريعًا كالنار عندما تشتعل، فتنتشر بسرعة فيما تشتعل فيه ، فأصبح الرأس شيبًا دلالة على ما بلغ من الكبر ،يقول الزمخشري: " شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وإنارته وانتشاره في الشعر وفشوّه فيه وأخذه منه كل مأخذ باشتعال النار، ثم أخرجه مخرجَ الاستعارة، ثم أسند الاشتعال إلى مكان الشَّعر ومنبته وهو الرأس، وأخرج الشيب مميزًا ولم يضف الرأس: اكتفاء بعلم المخاطب أنّه رأس زكريا"([31])

أسند الاشتعال إلى الرأس (واشتعل الراسُ شيبًا) فـ(شيبًا) نُصِب على التمييز ، و الأصل اشتعل شيبُ رأسي؛ للدلالة على شمول الشيب لجميع الرأس ، وانتشاره في جميع أجزائه، يقول أبو السعود :" حيث كان الأصلُ اشتعل شيبُ رأسي، فأسند الاشتعالَ إلى الرأس كما ذُكر لإفادة شمولِه لكلّها ،فإن وِزانَه بالنسبة إلى الأصل وزانُ اشتعلَ بيتُه ناراً بالنسبة إلى اشتعل النارُ في بيته ،ولزيادة تقريرِه بالإجمال أولاً والتفصيلِ ثانياً ولمزيد تفخيمِه بالتنكير "([32]) .

أما في الجانب الصوتيّ فحرف (الشين) من صفاته التفشي انتشار الهواء في الفم ، فالارتباط بين الموسيقا الصوتية لهذا الحرف بدلالة (اشْتَعَلَ) في الآية ،فانتشار الهواء في الفم كانتشار الشيب في الرأس كما هو في دلالة الآية.

ثانياً : (فَأَجاءَهَا الْمَخاضُ إِلى جِذْعِ النَّخْلَةِ قالَتْ يا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هذا وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيًّا (23مريم)

المخاض من الألفاظ التي انفردت به سورة مريم ،هو من الفعل مخض ،فالمخاض بفتح الميم و كسرها هو وجعٌ و ألمٌ تجده المرأة الحامل دلالة على قرب وضع الجنين، يقول القرطبيّ : "وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ (الْمَخاضُ) بِفَتْحِ الْمِيمِ، وابْنُ كَثِيرٍ فِيمَا رُوِيَ عَنْهُ بِكَسْرِهَا وَهُوَ الطَّلْقُ وَشِدَّةُ الْوِلَادَةِ وَأَوْجَاعُهَا ،مَخِضَتِ الْمَرْأَةُ تَمْخَضُ مَخَاضًا وَمِخَاضًا، وَنَاقَةٌ مَاخِضٌ أَيْ: دَنَا وِلَادُهَا." إِلى جِذْعِ النَّخْلَةِ" كَأَنَّهَا طَلَبَتْ شَيْئًا تَسْتَنِدُ إِلَيْهِ وَتَتَعَلَّقُ بِهِ، كَمَا تَتَعَلَّقُ الْحَامِلُ لِشِدَّةِ وَجَعِ الطَّلْقِ"([33])

وهذه الكلمة (الْمَخاضُ)التي انفردت بها سورة مريم، و جاءت في الحديث عن حمْل مريم بعيسى عليه السلام – من غير زوج بخلاف قصة مريم في سورة آل عمران التي ذُكِرت قصتها دون ذكْرِ أحداث الحمل، و لعلّ الحديث عن المخاض في قصة مريم دلالةً على بشرية عيسى – عليه السلام– وأنّه وُلِد كما يولد البشر فيكون ردًّا على الذين يدّعون أنّه إله ،أو أنّه ابن الله ، و دلالة أيضاً على الضعف الذي أصاب مريم عند المخاض ،وما تبعه من إنعام الله عليها بالنهر الذي يجري عندها والنخلة التي تساقط رطبها .

---

30 ابن فارس \ مقاييس اللغة \ 2/ 433

31 الزمخشري \ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل 3/ 4

32 أبو السعود \ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم 5/ 253

33 القرطبي \ الجامع لأحكام القرآن 11/ / 92

ثالثاً: في قوله – تعالى – :(وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاّ وارِدُها كانَ عَلى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيًّا (71مريم)

(حَتْمًا) من الألفاظ التي انفردت بها السورة ،فالحتم إحكام الشيء ، وهو مصدر حتم الأمر حتمًا، أي : أوجبه وقطع به "الحتم: مصدر حتم الأمر إذا أوجبه، فسمّى به المُوجَب، كقولهم: خلق اللهُ، وضرب الأمير، أي: كان ورودُهم واجبًا على الله، أوجبه على نفسه وقضى به، وعزم على أن لا يكون غيره"([34]) و جاءت المفردة (حتمًا) في سياق توعُدٍ شديد من الله (فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا (68) ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا (69) ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا (70مريم) ثم أكّد بصيغة (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاّ وارِدُها) أي : ما منكم من أحد إلّا واردها ، فالنفي أفاد الاستغراق لكلّ نفسٍ ، ثم جاء التعبير بصيغة الماضي الذي يفيد تحقق الأمر (كانَ عَلى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا) ، فبعد القسم (فَوَرَبِّكَ) و التأكيد بالنّون التوكيد بعد القسم (لَنَحْشُرَنَّهُمْ ،لَنُحْضِرَنَّهُمْ ،لَنَنزِعَنَّ) ثم أكّد بصيغة (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاّ وارِدُها) و أتبع ذلك بالفاصلة(حتمًا) مؤكّدةً له ولتقطع الأمر و تحسمه بأنّهم واردون هذه النار، وأنّه واقع بهم ، لذلك جاء التعبير بـ (حتمًا) ليناسب مع هذا السياق القرآنيّ حيث إنّ ورودَ النار([35]) أمرٌ مقطوع به " كانَ عَلى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيًّا (مريم: 71) أَيْ :وَاجِبًا مَفْرُوغًا مِنْهُ بِحُكْمِ الْوَعِيدِ ([36]) ثم وصف (حتماً)بـ (مقضياً) تأكيد للورود.

رابعاً : في قوله – تعالى – :(وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (81)) كَلاّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا (82 مريم)

ضدّاً : من الألفاظ التي انفردت بها السورة ، فالضدّ الشَّيْئَانِ اللذان لا يَجُوزُ اجْتِمَاعُهُمَا فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ في شيءٍ واحد، كَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، والموت و الحياة ، فلذلك جاء التعبير بـ (ضدّاً) في مقابل (عزّاً) للدلالة على أنّ هذه الآلهة التي عبدوها تتبرأ منهم ،و يكفرون بما فعله هؤلاء في الدنيا ، فينقلب عزُّهم ذلًا "الضدّ: البلاء، والضدّ في كلام العرب: هو الخلاف، يقال: فلان يضادّ فلانًا في كذا، إذا كان يخالفه في صنيعه، فيفسد ما أصلحه، ويصلح ما أفسده، وإذ كان ذلك معناه، وكانت آلهة هؤلاء المشركين الذين ذكرهم الله في هذا الموضع يتبرؤون منهم، وينتفون يومئذ، صاروا لهم أضدادا، فوصفوا بذلك"([37])

أما بلاغة توحيد المصدر (ضدّاً) فلم يقل: أضداداً لاتفاق كلمتهم و تبرُئِهم من الكافرين يوم القيامة ، كأنّهم كلمة واحدة في إنكارهم على الكافرين العابدين لهم في الدنيا " فإن قلت: لم وَحَد؟ قلت: وَحَد توحيده قولُه– عليه السلام:– (وهم يدٌ على من سواهم) لاتفاق كلمتهم وأنّهم كشيء واحد لفرط تضامهم وتوافقهم "([38]) و المقابلة بين (عِزّاً) و (ضدّاً) فهم أرادوا العزّ في عبادتهم إياهم ،لكنّ هذا العزّ انقلب يوم القامة ضدّاً عليهم " أَمَّا قَوْلُهُ: (وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّاً)فَذَكَرَ ذَلِكَ فِي مقابلة قوله: (لَهُمْ عِزًّا)وَالْمُرَادُ ضِدُّ الْعِزِّ ،وَهُوَ الذُّلُّ وَالْهَوَانُ أَيْ :يَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّاً لَمَّا قَصَدُوهُ وَأَرَادُوهُ كَأَنَّهُ قيل: ويكونون عليهم ذلالهم لَا عِزّاً أَوْ يَكُونُونَ عَلَيْهِمْ عَوْنًا "([39])و التناسب الصوتي بين(عِزّاً)وهي الفاصلة في قوله– تعالى– (وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَة لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزّاً) ومن صفاتها الرخاوة فهم ظنّوا أنّ هذه الآلهة ستمنحهم الرخاءو سعة العيش ، ثم جاءت الفاصلة القرآنية في الآية التي بعدها ردًا على ظنّهم (كَلاّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا)(ضِدّاً) بالدال المُضعَفة، وهي من حروف الشدة لتدلّ على شدّة الموقف يوم القيامة لكفرهم بالله ،و الارتباط الصوتي بين كلمة (ضِدًّا) ودلالتها، فالضاد صفتها الاستعلاء و الشدّة ، والدالّ التي هي عين و لام الكلمة صفتها الشدّة فتتناسب مع الردّ القويّ الشديد على هؤلاء الكافرين الذين عبدّوهم ليكونوا لهم عزّاً فكانوا عليهم ضِدًّا.

---

[34] الزمخشري \ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل 3/ 35

[35] - واختلف أهل العلم في معنى الورود الذي ذكره الله في هذا الموضع، فقال بعضهم: الدخول. المرّ عليها ، دخول الكفار دون المؤمنين. عام لكلّ مؤمن وكافر، غير أن ورود المؤمن المرور، وورود الكافر الدخول. يردها الجميع، ثم يصدر عنها المؤمنون بأعمالهم. انظر : الطبري ، جامع البيان 18/ - 230 233

[36] الرازي \ مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير 21/ 558

[37] الطبري \ جامع البيان 18/ 251

[38] الزمخشري \ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل3/ 41

[39] الرازي \ مفاتيح الغيب 21/ 564

خامسًا : قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا (83) فَلا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا (84مريم)

تَؤُزُّهُمْ ، أَزًّا: من الألفاظ التي انفردت بها السورة، فالأزّ: يَدُلُّ عَلَى التَّحَرُّكِ وَ شدّة الْإِزْعَاجِ ، نقول : القدر تغلي، أي : لها صوت الغليان مع هيجان وحركة ما فيها بسرعة ،يقول الزمخشريّ : "الأز، والهزّ، والاستفزاز: أخوات، ومعناها التهييج وشدة الإزعاج، أي: تغريهم على المعاصي وتهيجهم لها بالوساوس والتسويلات، والمعنى: خلينا بينهم وبينهم ، ولم نمنعهم ولو شاء لمنعهم قسراً."([40])أما ابن عاشور فشبه اضْطِرَابَ اعْتِقَادِهِمْ و كذبهم بأَزِيزِ الْقِدْرِ إِذَا اشْتَدَّ غَلَيَانُهَا الذي يرتفع و ينخفض و فرقعة لا فائدة منها " وَالْأَزُّ: الْهَزُّ وَالِاسْتِفْزَازُ الْبَاطِنِيُّ، مَأْخُوذٌ مِنْ أَزِيزِ الْقِدْرِ إِذَا اشْتَدَّ غَلَيَانُهَا، شَبَّهَ اضْطِرَابَ اعْتِقَادِهِمْ وَتَنَاقُضَ أَقْوَالِهِمْ وَاخْتِلَاقَ أَكَاذِيبِهِمْ بِالْغَلَيَانِ فِي صُعُودٍ وَانْخِفَاضٍ وَفَرْقَعَةٍ وَسُكُونٍ"([41])وكذلك هناك ارتباط بين صفة الصفير لحرف(الزاي)الذي هو عين و لام الكلمة (أزّ) و دالة الكلمة في الآية الكريمة، كأنّ وسوستهم تشبه صوت الصفير الذي يأتيهم من كلّ جانب .

سادساً: قوله – تعالى –:(يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا(85مريم)

وفداً: من الألفاظ التي انفردت بها السورة فالْوَاوُ وَالْفَاءُ وَالدَّالُ: أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى إِشْرَافٍ وَطُلُوعٍ، منهُ الْوَافِدُ: الْقَوْمُ يَفِدُونَ. وَالْوَفْدُ: ذِرْوَةُ الْحَبْلِ مِنَ الرَّمْلِ الْمُشْرِفِ، فالوفد في الأصل استُعمل في الأمر الحسيّ، فالوفد قمة الجبل ، ثم استُعمل في الجماعة من القوم الذين يفدون على ملك أو أمير ، هو يستعمل في سياق الخير ؛ لذلك كان قرينة في هذه الآية أن الحشر إلى الرحمن مَكرَمةً و محبّة من الرحمن لعباده المتقين "وَالْحَشْرُ: الْجَمْعُ مُطْلَقًا، يَكُونُ فِي الْخَيْرِ كَمَا هُنَا، وَفِي الشَّرِ كَقَوْلِهِ: (احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَما كانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلى صِراطِ الْجَحِيمِ (الصافات: 22، 23) ، وَلِذَلِكَ أَتْبَعَ فِعْلَ (نَحْشُرُ) بِقَيْدِ (وَفْداً)، أَيْ :حَشْرَ الْوُفُودِ إِلَى الْمُلُوكِ، فَإِنَّ الْوُفُودَ يَكُونُونَ مُكْرَمِينَ، وَكَانَتْ لِمُلُوكِ الْعَرَبِ وَكُرَمَائِهِمْ وُفُودٌ فِي أَوْقَاتٍ، وَلِأَعْيَانِ الْعَرَبِ وِفَادَاتٌ سَنَوِيَّةٌ عَلَى مُلُوكِهِمْ وَسَادَتِهِمْ، وَلِكُلِّ قَبِيلَةٍ وِفَادَةٌ" ([42]). فالوفد في اللغة معناه الإشْرَاف والطُّلُوع و هذا يتناسب مع المفردة (وفداً) – :(يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا) فهم وفدُ الله الذين لهم العزّة و المرتبة العليا ف (وفداً) تحمل في دلالتها تلك المنزلة العليا عند الله ، ثم كان هذا الوفد إلى الرحمن – جلّ جلاله – فزادهم رفعة و علواً إلى علو منزلتهم. " والوفد في هذا الموضع بمعنى الجمع، ولكنّه واحد؛ لأنه مصدر واحدهم وافد، وقد يجمع الوفد: الوفود"([43])و التعبير بالمصدر المفرد للدلالة أنّ هذا الوفد يجمعهم إيمانٌ وتصديقٌ بالله ،فلا خلافَ بينهم ؛لأنّ دينهم هو الإسلام ،ثم قابل(المتقين) (الرَّحْمنِ)(وفداً) بـ (الْمُجْرِمِينَ) (جَهَنَّمَ)(وردًا) ، فالوفد يُستقبَل أفضلَ استقبالٍ و يُضيف بألذّ الطعام و الشراب، و في المقابل المجرمون الذين يساقون إلى جَهَنَّمَ عطاشًا فلا يجدون ماءً ليرووا عطشهم "فَقَوْلُهُ: نَسُوقُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ يُسَاقُونَ إِلَى النَّارِ بِإِهَانَةٍ وَاسْتِخْفَافٍ كَأَنَّهُمْ نَعَمٌ عِطَاشٌ تُسَاقُ إِلَى الْمَاءِ، وَالْوِرْدُ اسْمٌ لِلْعِطَاشِ؛ لِأَنَّ مَنْ يَرِدُ الْمَاءَ لَا يَرِدُهُ إِلَّا لِلْعَطَشِ"([44])

سابعاً :(وَقالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً (88) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدًّا (89 مريم)

إِدّاً : من الألفاظ التي انفردت بها السورة جاء الالتفات من الغيبة في قوله – تعالى – :(وَقالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً) إلى الخطاب (لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً) لتوبيخهم على قولهم :اتخذ الله ولداً، يقول ابن عاشور : "وَالْخِطَابُ فِي(لَقَدْ جِئْتُمْ) لِلَّذِينِ (قَالُوا اتخذ الرحمن وَلَدًا)، فَهُوَ الْتِفَاتٌ لِقَصْدِ إِبْلَاغِهِمُ التَّوْبِيخَ عَلَى وَجْهٍ شَدِيدِ الصَّرَاحَةِ لَا يَلْتَبِسُ فِيهِ الْمُرَادُ، "([45]) والإدّ :عِظَمُ الشَّيْءِ وَشِدَّتُهُ فلمّا كان قولهم منكرًا عظيمًا في حقّ الله و ادعاؤهم أنّ لله ولدًا جاء التعبير القرآنيّ بكلمة (إِدّاً)بيانًا لقبح قولهم و توبيخاً لهم على ما قالوه " يقول –

[40] الزمخشري \ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل 3/ 42
[41] ابن عاشور \ التحرير والتنوير 16/ 165
[42] ابن عاشور \ التحرير والتنوير 16/ 168
[43] الطبري \ جامع البيان 18/ 254
[44] الرازي \ مفاتيح الغيب 21/ 565
[45] ابن عاشور \ التحرير والتنوير 16/ 170

تعالى ذكره–: وقال هؤلاء الكافرون بالله (اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدّاً) يقول – تعالى ذكره – للقائلين ذلك من خلقه: لقد جئتم أيها الناس شيئًا عظيماً من القول منكرًا" ([46])

أما في المستوى الصوتيّ فكلمة (إِدّاً) تتكون من ثلاث وحدات صوتية(الهمزة و الدّال المُضعَفة) و صفة هذه الحروف الشدّة فالهمزة و الدّال من حروف الشدة ، إضافةً إلى الادغام بين الداليِن مما جعل ارتباط صوت الكلمة بدلالتها، فدلالة الكلمة (إِدّاً) الأمر العظيم أو الشديد وهو متناسق مع البناء الصوتيّ للكلمة التي حروفها شديدة إضافةً للإدغام بين حرفين شديدين .

ثامناً : قوله – تعالى – (تَكادُ السَّماواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبالُ هَدًّا (90) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمنِ وَلَداً (91 مريم)

هدّاً :من الألفاظ التي انفردت بها السورة ، فالهدّ السقوط ، جاء الفعل (تَخِرُّ) في قوله – تعالى – (وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا) مقيدًا بـ (هدّاً) على خلاف قوله تعالى –(فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ) لبيان نوع هذا الخرور، وهو تهدُّمِ هذه الجبال وزوالها وَهُوَ أَنْ تتَسَاقَط شَظَايا وَقِطَعًا، وفي الآية تصوير عجيب، فقولهم (اتخذ الله ولداً) قولٌ عظيمٌ (أأنكم لتقولون قولًا عظيمًا(40 الإسراء) فكان قولهم بعظم الجبال لقبح ما نسبوا لله من ولد ، ثم جاء الردّ عليهم (لقد جئتم ..) فالسماوات تتفطر، والأرض تتشقق ،والجبال تخر هدّاً على صلابتها و عظمها من قولهم (اتخذَّ الله ولداً)، كما أن الجبال تنهدم وتزول ؛لأنّ قولهم باطل ،يقول الزمخشري في أحد أقواله لتفسيره لهذه الآية : " أَنْ يَكُونَ اسْتِعْظَامًا لِلْكَلِمَةِ وَتَهْوِيلًا مِنْ فَظَاعَتِهَا وَتَصْوِيرًا لِأَثَرِهَا فِي الدِّينِ وَهَدْمِهَا لِأَرْكَانِهِ وَقَوَاعِدِهِ " ([47]) و نُصبت (هدّاً) على المصدرية بيانًا لنوع الخرور بأنّ سقوطها بشدة ، يقول ابن عاشور:" وَانْتَصَبَ هَدًّا عَلَى الْمَفْعُولِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ لِبَيَانِ نَوْعِ الْخُرُورِ، أَيْ :سُقُوطَ الْهَدْمِ، وَهُوَ أَنْ يَتَسَاقَطَ شَظَايَا وَقِطَعًا." ([48]).

تاسعاً : قوله تعالى: (وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا (98) مريم.

رِكْزًا من الألفاظ التي انفردت بها السورة ،وجاءت هذه المفردة في الحديث عن إهلاك الأقوام السابقة، فالرِكز في اللغة الصوت الخفي دون نطقٍ بحروف ولا فم ، وَقَدْ رُوِيَ به قَوْلُ لَبِيدٍ:

وَتَوَجَّسَتْ رِكْزَ الْأَنِيسِ فَرَاعَهَا ... عَن ظهر غَيْبٍ وَالْأَنِيسُ سَقَامُهَا ([49])

أو الشيء الذي يركز في الأرض كالرمح ، و كلا المعنيين المذكورين يدلّان على السكون الذي لا حركة فيه، فهؤلاء الأقوام أُهلِكوا فلم يبقَ منهم حيٌ فيه حركة ، ولم يبق إلّا آثارُ مساكِنهم الساكنة لا حياة فيها، يقول ابن عطية: "فكأنه يقول: أو تسمع من أخبارهم قليلاً أو كثيراً أو طرفاً خفياً ضعيفاً، وهذا يراد به من تقدم أمره من الأمم ودرس خبره، وقد يحتمل أن يريد هل بقي لأحد منهم كلام أو تصويب بوجه من الوجوه فيدخل في هذا من عُرِف هلاكُه من الأمم"([50]) " وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنِ اضْمِحْلَالِهِمْ، كُنِّيَ بِاضْمِحْلَالِ لَوَازِمِ الْوُجُودِ عَنِ اضْمِحْلَالِ وَجُودِهِمْ»([51]) والتناسق الصوتيّ بين الوحدات الصوتية المكونة لكلمة (رِكْزًا) الراء ، الكاف ، الزاي و دلالة (رِكْزًا) ، فالراء و الكاف و الزاي كلُّها حروف مرققة وعند النطق بها مرققة بصوت مستفل يظهر التناسق بينها و بين دلالة ((رِكْزًا)) الصوت الخفي.

نتائج البحث :

[46] الطبري \ جامع البيان 18/ 257

[47] الزمخشري \ الكشاف 3 / 45

[48] ابن عاشور \ التحرير والتنوير 16/ 171

[49] -لبيد بن ربيعة العامري من شعراء العصر الجاهلي، ويروى (وتوجست ركز الأنيس) أي : تسمعت البقرة صوتَ الناسِ؛ لأن الحديث كان عنها في الأبيات السابقة ، فأفزعها، ولم تر الناس، و(الركزُ:) الصوت الخفي، وقوله (عن ظهر غيب) أي : من وراء حجاب، أي: تسمع و لا ترى، و (الأنيس سقامها) معناه والأنيس هلاكها، أي :يصيدها، و(راعها): أي: أفزعها، وفاعل(توجست) ضمير البقرة، وفاعل(راعها) ضمير عائد إلى(ركز الأنيس).

[50] ابن عطية \ المحرر الوجيز 4/ 35

[51] ابن عاشور \ التحرير والتنوير 16/ 178

1- انفردت سورة مريم بألفاظ اختصت بها السورة (اشتعل ، المخاض ، وفدًا، حتماً ،ضدًا، تؤزّ ،أزّاً، إدّاً، هدّاً ، ركزًا) ،وكلُّ هذه الألفاظ جاءت فاصلة قرآنية في الآيات الكريمات إلّا لفظتي (اشتعل ،المخاض) و كذلك كلُّها جاءت مصدراً إلّا (اشتعل ، تؤزّ)جاءتا فعلاً.

2- الألفاظ التي انفردت بها سورة مريم جاءت متناسقة مع سياق الآيات الكريمات التي وردت فيها ، و موضوع السورة، و لا يمكن لأيّةِ كلمة أن تحلّ مكانها لتؤدي دلالتها، كالألفاظ (ضدّاً، ، إدّاً، هدّاً) هي مصادر لأفعال ثلاثية مُضعفَة عين الفعل (الدال) ، وكلُّها جاءت في الردّ على الكافرين الذين اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ، وجعلوا لله ولداً؛ لذلك تجد في هذه الألفاظ القوة و الشدّة في دلالتها للردّ عليهم.

4- تناسق الوحدات الصوتية لهذه الألفاظ التي انفردت بها سورة مريم مع دلالتها في سياقها القرآني، فالإبداع في اختيار الكلمة ذات الوحدات الصوتية القوية في الآيات الكريمات للردّ على الكافرين نحو : (ضدّاً ، إدّاً، هدّاً)فالدال المُضعفة المدغمة في هذه الأفعال صفتها الشدة و الجهر و هذا يتناسب مع دلالتها في سياقها التي جاءت للردّ على الكافرين لتكون قوية في دلالة وصوتاً وصوتها وغيرها من الأمثلة التي ذكرها الباحث في البحث .

التوصيات : يوصي الباحث بالاهتمام بدراسة الألفاظ القرآنية التي انفردت بها بعض السور دراسة دلالية للكشف عن جوانب الإعجاز البيانيّ فيها .

المصادر والمراجع

أولاً: المراجع العربية:

- البقاعيّ ، إبراهيم بن عمر بن حسن (ت ٨٨٥هـ) *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة
- البيضاويّ ، ناصر الدين (ت ٦٨٥هـ)، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ
- الباقلانيّ، أبو بكر محمد بن الطيب (ت ٤٠٣هـ)، *إعجاز القرآن* ، المحقق: السيد أحمد صقر، الناشر: دار المعارف – مصر، الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م
- البيهقيّ ، أحمد بن الحسين(ت ٤٥٨هـ) ، *دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة* ، المحقق: د. عبد المعطي قلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، الطبعة: الأولى – ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م
- الجاحظ ،عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ) *البيان والتبيين* ، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت،عام النشر: ١٤٢٣ هـ
- الرمانيّ ،علي بن عيسى (ت ٣٨٤هـ) *النكت في إعجاز القرآن*، مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن المحقق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام ،الناشر: دار المعارف بمصر، الطبعة: الثالثة، ١٩٧٦م
- الرازيّ ، أبو عبد الله محمد بن عمر (ت ٦٠٦هـ) *مفاتيح الغيب* ،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ،الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ
- الخليل بن أحمد بن عمرو (ت ١٧٠هـ) *كتاب العين* ،المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال
- ابن الزبير ،أحمد بن إبراهيم (ت ٧٠٨هـ)، *البرهان في تناسب سور القرآن*، تحقيق: محمد شعباني ندار النشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . المغرب، عام النشر: ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م
- الزَّبيدي ،محمّد بن محمّد (ت ١٢٠٥هـ)*تاج العروس من جواهر القاموس*، ،الناشر: دار الهداية

- عبد السلام أحمد الراغب، *وظيفة الصورة الفنية في القرآن* ،الناشر: فصلت للدراسات والترجمة والنشر – حلب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م
- الزمخشري ،أبو القاسم محمود بن عمرو (ت ٥٣٨هـ)*الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل* ،الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ
- أبو السعود ، محمد بن محمد (ت ٩٨٢هـ)، *إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت
- الطبريّ ،أبو جعفر، محمد بن جرير (٣١٠هـ) *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*، دار التربية والتراث – مكة المكرمة
- ابن عطية ،أبو محمد عبد الحق بن غالب (ت ٥٤٢هـ)،*المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز* ،المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد ،الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ
- ابن عاشور: محمد الطاهر (المتوفى : ١٣٩٣هـ)*التحرير والتنوير* ،الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ
- ابن فارس، أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)*معجم مقاييس اللغة*، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
- ابن منظور ،محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ)*لسان العرب*، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ

ثانياً: قائمة المراجع المرومنة:

Al-barqawi (I) *organized pearls in proportionality verses and pictures* , (In Arabic) Publisher : Islamic book house , cairo

Al-baydawy (N)(1997AM) *lights of download and secret of interpretation* (In Arabic), (5thEd)Publisher : arab heritage revived House, Beirut, Egypt

Al-jahith (O)(1433AH) *tatement and discernment*, (In Arabic), (third edition)Publisher: Al-hilal house and library

Al-rammany (A) (1976M) *jokes in the miracles of the Qur'an printed within three letters in the miracles of the Qur'an* , (In Arabic), (3thED) Publisher: house of knowledge in gypt,

Al-razi , (M) (1420H) *unseen keys Beirut third* (In Arabic), (3thEd)

Al-khalil(A) *alayan book*, (In Arabic) ,Publisher : Al-hilal house and library

Ibn Al-zubair(A) (1990AM) Al- *the proof in proportionality of verses of the Qur'an* , (In Arabic), Publisher : the ministry of awqaf and Islamic affairs , marocco

Al-zubaidi (M) *the brides crown from dictionaries jewellery* , (In Arabic), Publisher: dar Al-hedaya

Abdulsalam(A)(2001AM) *Al-rageb artistic picture function in Qur'an*, (In Arabic), (first edition) Publisher: foselat for studies translation and publishing Syria _ halab ,

Al-zamkhshari (M) *detector of the facts of mysteries of download*, (In Arabic), (3thEd) Publisher: arab heritage revived House Beirut

Abo Al-soud(M) *guidance of a healthy mind to advantages of the holy Qur'an ,* (In Arabic), *Al-tabari* ,

abo ja'afar (M) *statement in the interpretation of verses of the Qur'an*, (In Arabic), Publisher: House of education and heritage mecca

Ibn Attia(A) (2001AM) *almuharir alwajiz fi tafsir alkitaab aleaziz*, (In Arabic), (1thEd) Publisher: Dar al-Kutub al-Ilmiyya - Beirut

Ibn ashoor(M) (1984AM)*editing and enlightening* , (In Arabic), *Publisher: Tunisian* Publishing house Tunisia

Ibn faris (A)(– 1979AM)*Al-qazwini dictionary of language standards* , (In Arabic), Publisher: House of thought

Ibn manthor(M) *Arab's tong ,Margins : Al-yazeji and group of linguists* , (In Arabic), (3thED) Publisher sader House Beirut third edition